توحيد الله بالعبادة

تأليفُ

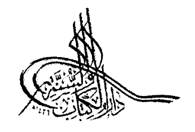
فضيلة الشيخ العلامة الدكتور

محمد تقي الدين الهلالي المغربي

رحمه الله


بسم الله الرحمن الرحيم

توحيد الله بالعبادة



الطبعة الأولى 19 /2/2007

لـ دار الكتاب والسنة

رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية



2007/4652



دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والتوزيع

المقر الرئيسي والإدارة 9 شارع احمد اسماعيل متفرع من منشية التحرير من شارع جسر السويس عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال : 0020101021187 - 0020104671439

فاكس : 0020101021052

موقعنا على الإنترنت

www.dar-ketab-sunah.com

البريد الإلكتروني

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alketabwalsunnah@yahoo.com

info@dar-ketab-sunah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة شعيب عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟
ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا
تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ
تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا
عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ
مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ
ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] .

هذه قصة قصها الله علينا سبحانه وتعالى كرمًا منه وتفضلًا؛ لنعتبر بها، ونستفيد مما فيها من الحكم والأحكام، هذه قصة شعيب الذي كان يدعى خطيب الأنبياء، بعثه الله إلى أهل مدين.

ومدين اسم للقبيلة، واسم للقرية، وهي قرية قريبة من معان، يمر عليها الراكب الذاهب للحجاز من معان

(١) سورة الأعراف ٨٥ : ٩٢ .

التي هي الآن في شرق الأردن، يمر عليها في تلك الناحية.

كانت هذه القبيلة التي أرسل الله إليها رسوله شعيبًا عليه الصلاة والسلام، أي ولقد أرسل الله إلى مدين – إلى قبيلة مدين– أخاهم، أي من جلدتهم، من جنسهم .

ماذا قال لهم شعيب أول ما دعاهم؟ قال صلوا، كلوا الحلال، اتركوا الحرام، لم يقل هكذا، قال: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، هذه دعوة جميع الرسل، أول ما يبدءون بتوحيد الله تعالى، وأنه لا يعبد إلا الله، ولا يستغاث إلا بالله، ولا يذبح إلا لله، ولا ينذر إلا لله، ولا يخاف بالغيب إلا الله، لا يفعل ذلك لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لصالح، ولا جن، ولا إنس.

ومن ادعى أن محبة النبي ﷺ أن نعتقد فيه أنه ينفع ويضر، وأن نسأل حاجاتنا منه كما نسألها من الله تعالى،

وأنه يعلم الغيب كما يعلمه الله تعالى فهو كافر بإجماع المسلمين، قال النبي ﷺ: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله**» هكذا قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾[1].

يقول النبي عليه الصلاة والسلام: عندنا أمور خمسة لا يعلمها إلا الله، هي مفاتح الغيب، وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، فمن قال: إن غير الله يعلم شيئًا من هذه الخمس فقد افترى على الله الكذب، وهو كافر بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾.

إنما يعلم رسول الله ﷺ ما علمه الله من غيب، ولا يعلم علم الله كله أبدًا، فمن أراد أن يصف نبيًا بهذه

(١) البخاري (٤٨) ضمن حديث طويل.

الصفة فهو كافر بإجماع المسلمين .

ومن قال: إن النبي ﷺ ليس له فضل عن الأمة، وإنما هو كالرسول - رسول الملك أو السلطان أو الرئيس - الذي يبلغ الرسالة دون أن يكون له فضل فهو كافر بإجماع المسلمين، فالرسول له فضل علينا وله قدر ومنزلة عظيمة، وتعظيم الرسول واجب على كل مسلم، وبدون محبة النبي ﷺ وتعظيم النبي ﷺ تعظيمًا فعليًا لا يمكن أن يثبت الإيمان أبدًا، قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[(١)] فالإنسان لا يؤمن الإيمان الذي ينجيه من عذاب الله حتى يكون الرسول أحب له من نفسه ومن الناس أجمعين، انتبه كيف تكون محبة الرسول ﷺ، أن تكون أكثر من والده ووالدته وأولاده وزوجته، وجميع ما في الدنيا؛ لأنه إذا أحب النبي هذه المحبة فهو جدير إذا

(١) البخاري (١٣).

تعارضت له المصلحة فماذا يفعل؟ تعارضت محبة النبي ﷺ مع محبة الوالدين، يعصي والده ويهجر والده، ويحب الرسول، وإذا تعارضت كذلك محبة النبي مع محبة والدته يهجر والدته، ويطيع الرسول.

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالت له أمه: لا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد، فقال لها: إن هذا محال، ولو متِّ فلا أبالي بك، فلا تأكلي ولا تشربي، فبقيت يومًا وهي تئن، فقال لها: لا تصنعي هذا فما تطلبينه محال، لا تئني لي آه آه، ما تنفعك إذا كان ما يرضيك إلا أن أترك محمدا، أن أكفر بمحمد، والله لا أرضيك أبدا، ثم امتنعت عن الأكل والشرب يوما آخر، فثالث، ثم رجعت فأكلت وشربت[١].

وعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما كان عبد الرحمن يوم غزوة بدر يحارب الكفار؛ لأنه لم يكن

(١) مسند أحمد (١٤٨٤).

أسلم بعد، وكان أبو بكر طبعًا مع النبي عليه الصلاة والسلام، وقاتل في سبيل الله، ولما أسلم عبد الرحمن قال لأبيه أبي بكر الصديق: إنك كنت تعرض لي وتأتي في طريقي فأعرضت عنك، أي كنت هدفًا لي، وكانت الفرصة مهيأة أن أقتلك، قال عبد الرحمن أنا وجدت فيك فرصة لأقتلك، لكن تباعدت عنك ولم أقتلك، فقال أبو بكر رضي الله عنه، أما أنا فوالله لو تمكنت منك ما تركتك، لو أنك جئت في طريقي والله لكنت قتلتك وما تركتك أبدًا.

وفي محبة الرسول عليه الصلاة والسلام يقتل الرجل أعز الناس عليه إذا كفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، ويهجر ويبغض أعز الناس عليه وأقرب الناس إليه، لأن علامة المحبة الصادقة أنك لا بد أن تحب الحبيب، وتحب من يحب الحبيب، وتبغض من يبغضه، قال الشاعر:

تعصي الرسول وأنت تظهر حبه هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقًا لأطعته   إن المحب للمحب مطيع

وقال آخر:

تحب عدوي ثم تزعم أنني   صديقك إن الحب عنك لعازب
تحب عدوي ولن أحبك أبدًا   مع الحب تكذب

فالذي لا يحب في الله ويبغض في الله، ويوالي في الله ويعادي في الله، هذا ليس له إيمان، قال النبي ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة لله، والموالاة لله»**[١] محل الشاهد هو أن كثيرًا من الجهال يخلطون بين حقوق الرب سبحانه وبين حقوق العبيد، فعندهم رجال يصفون الرسول ﷺ بأوصاف الله تعالى، من أنه يعلم الغيب، وأنه في كل مكان، وأنه حاضر ليغيث كل من يستغيث به، وهم بذلك ما عظموا الرسول، هذا تعظيم المشركين، تعظيم شرك، هذا تعظيم النصارى لعيسى عليه السلام، أما تعظيم الرسول فلا يكون إلا بتوحيد الله وباتباع ما جاء به رسول الله ﷺ.

---

(١) السلسلة الصحيحة (١٧٢٨).

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ما شاء الله وشئت، الذي يريده الله وأردت أنت يكون يكون، فغضب عليه النبي ﷺ وقال: «**أجعلتني لله ندًا**» أي: أجعلتني شريكًا مع الله «**قل: ما شاء الله وحده، أو قل ما شاء الله ثم شاء محمد**»[1] فالرسول قال له: ما تعطفني على الله بالواو وتسوي بيني وبين الله تعالى، وتجعلني شريكًا مع الله .

وجاء جماعة إلى النبي ﷺ فقالوا له: أنت سيدنا وابن سيدنا وأنت خيرنا وابن خيرنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، إنما أنا عبد الله، فقولوا عبد الله ورسوله**»[2].

فالنبي ﷺ سيد عباد الله، يحب من أمته أن يعطوا حق الله لله، وحق الرسول للرسول عليه الصلاة

---

(١) مسند أحمد (١٧٤٢) بنحوه، وابن ماجه (٢١٠٨) بمعناه.
(٢) مسند أحمد (١٣٠٤١)، (١٣١٠٦).

والسلام، ولا يخلطون بين الحقوق خلطًا عشوائيًا.

وروى الطبراني أن جماعة من المسلمين قالوا: تعالوا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله تعالى**» فمن استغاث بالنبي ﷺ في الشدائد فهو كافر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ في غزوة بدر كان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر، أو نقول ثلاثة عشر، وكان الكفار ألفًا، وكان المسلمون ليس عندهم إلا سبعة من الخيل، وزادهم قليل، وسلاحهم قليل، والكفار كانوا مستعدين بكل ما يلزمهم من السلاح والطعام، ومن كل شيء، ولكن الله تعالى لما استغاثه النبي واستغاثه أصحابه من أهل بدر أغاثهم، ولم يقل الله تعالى: إذ تستغيثون نبيكم، ونبيكم استغاث ربكم، ما قال هذا، قال: ﴿تَسۡتَغِيثُونَ﴾ كلكم، النبي يستغيث، والصحابة يستغيثون؛ لأن الاستغاثة طلب الغوث،

وطلب الغوث لا يكون إلا للعلي العظيم سبحانه وتعالى، فمن استغاث بنبي أو ملك أو صالح فقد كفر بالله تعالى.

إن محبة النبي ﷺ تكون باتباعه وتعظيم سنته، وتعظيم ما جاء به، ولا حياة لنا إلا بهذه المحبة.

قال شعيب: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ هذه المعجزات التي أعطاها الله تعالى شعيبًا هي آية كافية تدل على أنه مرسل من الله تعالى، وتوجب على كل عاقل أن يتبعه، فنحن الآن في هذه البلدان التي تدعي الإسلام نحكم بأحكام لا ترضي الله، ولا ترضي الرسول، ونخالف الرسول عمدًا، فهذا هو الذي يدل على عدم المحبة، فإذا عرفت أن الرسول حرم الربا وحللته، فهل أنت تحب الرسول؟ أبدًا، وإذا عرفت أن الرسول ﷺ حرم الخمر، وأنت تصنعها وتبيعها، فأنت لا تحب الرسول، أنت بعيد كل البعد عن محبة الرسول، إذا عرفت النبي ﷺ حرم

التبرج، وأن الله تعالى حرمه، وقال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ وأنت تارك لابنتك وزوجتك أن تتبرج وتظهر محاسنها، فأنت مبغض للرسول، وأنت عدو للرسول، ولله تعالى، وهكذا يقال في كل من خالف النبي ﷺ.

فمحبة النبي هي في اتباعه، ولا تكون في الغلو، ولا في الخلط بين حقوق الله وحقوق عباده، وإنما هي في اتباع الرسول، والدليل على ذلك واضح، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ أي والرسول، فإن محبة الله بدون محبة الرسول لا تقبل، ومحبة الرسول بدون محبة الله تعالى لا تقبل، قل: فإذا كنتم تحبون الله فاتبعوني، قل فعلامة المحبة الاتباع، وليس علامة المحبة الغلو، ونسبة صفات الله تعالى إلى عباده، هذا كفر بالله.

﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ بعد أن بين لهم عبادة الله تعالى وحده لا

شريك له، أمرهم بأمر كانوا يخالفونه، وهو المكيال والميزان، فعندما كانوا يزنون أو يكيلون القمح أو الشعير أو الذرة ينقصون المكيال والميزان، كما هو موجود في هذا الزمان، وهذا سبب لعذاب الله تعالى، فكل أمة يشيع فيها نقص المكيال والميزان يتوعدهم الله تعالى باستحقاق عذابه في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٍ﴾، والله تعالى أنعم عليكم، وأعطاكم نعمًا كثيرة، وإني أخاف عليكم هذا العذاب.

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ لا تنقصوا حقوق الناس بأن يعطوكم ثمن السلع والبضاعة كاملة وتعطوهم ذاك المكيل أو ذاك الموزون ناقصًا، هذا هو البخس.

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ هذا فساد عظيم، إيذاء يتنافى مع العدالة، يتنافى مع الرحمة، ومع الأخوة، ومع الإنسانية، إنسان يعطيك من الدراهم يعطيك إياها مقابل بضاعة وأنت تغشه وتبخسه حقه .

خرج النبي ﷺ إلى سوق المدينة فرأى صبرة من طعام يعني كومة من القمح، والعرب كانوا يسمون القمح طعامًا، فأدخل يده عليه الصلاة والسلام، لأنه كان هو المحتسب، هو الذي ينظر في أمور مصالح الناس، يكشف الغش، ويعاقب عليه، أدخل يده في ذاك القمح، فوجد الأسفل مبلولًا، والأعلى ناشفًا، قال: «**ما هذا يا صاحب الطعام**» الطعام عند العرب هو القمح، فقال: يا رسول الله أصابته السماء من الليل. أصابه المطر من الليل. فقال: «**هلا أظهرته؟!**» لماذا لم تضع المبلول أعلى ليراه المشتري؟ «**من غشنا فليس منا**»[1] من غشنا ليس منا، وليس المؤمنين، فكذلك الذي ينقص في المكيال أو في الميزان، هذا أيضًا غش، وهذا يعذبه الله عذابًا عظيمًا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ من هم المطففون؟

(١) ابن ماجه (٢٢١٦).

يبينهم الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ من هؤلاء المطففون الذين لهم الويل؟ أي شدة العذاب؟ هم الذين إذا كان لهم حق يوفون المكيال ليأخذوا حقهم وافيًا، وإذا كان عليهم الحق أكلوا حقوق الناس، إما سلفًا وإما بيعًا، ينقصون الميزان والكيل ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ فالذي يطفف المكيال والميزان لا يؤمن بيوم القيامة، وما يعتقد أنه مبعوث ليوم عظيم، وأنه يقف أمام الله تعالى ليس له نصير، ولا ولي، ولا مال، ولا أولاد، ولا رجال، وإنما هو وحيد ينتظر عذاب الله تعالى ورحمة الله .

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لا تفسدوا في الأرض بأنواع الإفساد، تصدون الناس عن اتباع شعيب، تصدون الناس عن اتباع دين الله

تعالى، تقطعون الطريق وتفرضون على الناس إتاوات ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ﴾ الناس إذا ما أعطوكم ما تفرضونه عليهم ما تدعوهم يمرون ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ بكل طريق ﴿توعدون الناس﴾ ترهبونهم حتى يعطوكم ما فرضتم عليهم حتى تخلوهم يمرون.

﴿من آمن به وتصدون عن سبيل الله﴾ زيادة على قطع الطريق وأخذ الإتاوات والمكوس من الناس، تزيدون على ذلك أن الذي يريد أن يؤمن بنبي الله شعيب تمنعونه وتصدونه وتخوفونه ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ وتروحون في الطريق الأعوج، وما تروحون في الطريق المستقيم.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ اذكروا أنكم كنتم قليلًا، لا تعرفون تتصرفون، فزاد في عددكم، وفي أموالكم، وأكثر عليكم النعم، فخافوا الله، واطلبوا ما عند الله بطاعته، لا تطلبوا ما عند الله بمعصيته، فإن ما عند الله من الخير الدنيوي والأخروي لا يكون إلا بطاعة الله تعالى.

﴿وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وانظروا عاقبة الأمم السابقة، الذين طففوا المكيال والميزان، وعصوا رسلهم كيف أهلكهم الله تعالى، وصاروا أحاديث للناس وقصصًا يتحدثون بها، فخافوا على أنفسكم.

ويجب علينا نحن أن نخاف على أنفسنا؛ لأننا سالكون أيضًا مسلك قوم شعيب، وأننا عصينا رسولنا كما عصى قوم شعيب رسولهم، عصينا رسولنا، ونبذنا كتاب الله وراء ظهورنا، فنحن متعرضون لأشد عذاب الله تعالى، ويجب علينا أن نرجع ونتوب قبل الهلاك، وقبل أن يشتد غضب الله علينا، ويهلكنا كما أهلك من قبلنا.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إذا جماعة منكم آمنوا بدين الله تعالى، وطائفة لم يؤمنوا، وطائفة كذبوني وما آمنوا فاصبروا فسيحكم الله

بيننا؛ لأن الله تعالى لا يترك الأمر هكذا، لا بد أن يحكم بيننا، فيسلط عذابه ونقمته على من عصى الله ورسوله، وينجي المؤمنين الصادقين في إيمانهم من عذابه، ولا يصيبهم ما أصاب الكافرين المكذبين.

بماذا أجاب الكفار من أهل مدين؟ بماذا أجابوا شعيبًا عليه السلام؟ يعني أشرافهم ورؤساؤهم؟ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ قال الأشراف والرؤساء من قوم شعيب: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ هؤلاء المتكبرون والرؤساء والأكابر قالوا: يا شعيب إما أن تسكت عن هذا الشيء، وترجع عن هذا الدين إلى ديننا الأول الذي كنا عليه، وإلا نطردك من البلد ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ تردوننا إلى ملتكم ونحن كارهون أشد الكره؟! لأن المسلم المؤمن كما قال النبي

ﷺ يكره الكفر بعد الإيمان، قال النبي ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان**»[1] ثلاث خصال إذا أعطاهم الله لأحد راح يذوق حلاوة الإيمان، الإيمان له حلاوة، بعض الناس يذوقها، وبعض الناس يكون ثقيلًا عليه الإيمان، وما يذوق حلاوته، ما هي الخصال الثلاثة؟ «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**» يكون يحب الله والرسول أكثر من كل شيء «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**» يحب أخاه المؤمن ما يحبه إلا لله، لا لأي غرض دنيوي «**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**» يكره أن يدخل في الكفر مثل ما يكره أن يرمى في النار، وبدون هذه الثلاثة عمر حلاوة الإيمان ما يكون لها ذوق أبدًا، ومحروم الإنسان من كل حلاوة تذوق الإيمان.

---

(١) البخاري (١٥).

إذن جميع رسل الله يكرهون الكفر، وأتباعهم في كل زمان يكرهون الكفر، ويتبرءون إلى الله من الكفر وأهله ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ نحن نكره الكفر أشد الكره، كيف نرجع إلى الكفر، كيف نعود إلى ملتكم ونحن نكره الكفر وأهل الكفر؟ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ الله تعالى حفظنا وأعطانا التوحيد، وأعطانا الإيمان به، ونجانا من العمل الشركي الخبيث، حاشا لله إذا قلنا لكم سنرجع لدينكم، كذبنا على الله تعالى الذي نجانا من ملتكم، ومن دينكم الأعوج الشركي الكفري إن قلنا لكم سنرجع إليه ثانية.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ نحن عبيد الله، والله يفعل بنا ما يشاء، لا يمكننا أن نرجع فيها إلا إذا أراد الله تعالى، وهذا تأدب مع الله، هل معنى هذا أنهم يشكون أو يتوقعون أن يدخلوا في ملتهم؟ أبدًا، كما قال الله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ هذه إن شاء الله للتبرك وللتعليم،

وليس معناها أن هناك شكًا في الوعد الذي وعده الله تعالى بأنهم سيدخلون المسجد الحرام آمنين محلقين رءوسهم مع النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك قول النبي ﷺ عندما كان يزور القبور في جوف الليل، كان النبي عليه الصلاة والسلام يعطي الأموات حقوقهم مثل ما يعطي الأحياء، حتى في جوف الليل كان يقوم من فراشه عليه الصلاة والسلام يروح للمقابر، عشر دقائق بين بيت النبي وبين البقيع، يمشي في الليل للمقابر يدعو الله تعالى يقول: «**السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا بكم لاحقون إن شاء الله مؤمنين**»[1] فقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**وإنا بكم لاحقون**» لا يشك في ذلك أبدًا، فإن شاء الله للتبرك لا للشك، فإذا قلنا كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ إذا أردت أن تقول: سأفعل

(١) مسلم (٣٦٧).

كذا وكذا في المستقبل، ينبغي لك أن تقول: إن شاء الله.

وقد أخبرنا النبي ﷺ أن سليمان عليه السلام كان عنده عدد كثير من النساء، فقال: لأطوفن على أزواجي هذه الليلة فتلد كل امرأة منهن ولدًا يكون فارسًا مجاهدًا في سبيل الله، وما قال: إن شاء الله، فطاف عليهن، ولكن ما ولدت ولا واحدة منهن، إلا واحدة ولدت شق طفل ساقطًا، ما هو كامل، قال النبي ﷺ: «**لو قال: إن شاء الله لولدت هذه النساء كلها أولادًا**»[1] فـ«إن شاء الله» هنا تفويض الأمر لله، والتذلل لله، وليست للشك.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ الله تعالى عليم عالم بكل شيء، وعباده لا يعلمون إلا ما علمهم، حتى الأنبياء لا يمكن أن نقول: إنهم يعلمون كل شيء، أبدًا ﴿قُل لَّا

---

(١) البخاري (٤٨٤١)، (٦١٤٨).

يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥] أنبياء الله يعلمون ما علمهم الله، ولا يعلمون علم الله أبدًا.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ نحن الآن ضعفاء وقليلون، وأنتم عددكم كثير، استضعفتمونا وهددتمونا، لكنا توكلنا على الله تعالى هو الذي هدانا، ويكفينا شركم ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ يا رب افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وانصرنا عليهم واهزمهم، وكان رسول الله ﷺ إذا التقى المسلمون مع أعدائهم يقول عليه الصلاة والسلام: «**اللهم مجري السحاب، ومنزل الكتاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**»[1] هكذا كان يدعو عليهم النبي ﷺ في

(١) البخاري (٢٧٤٤)، (٢٨٠١)، ومسلم (٣٢٧٦).

الدعاء، اللهم يا رب يا منزل السحاب ، من ذلك الذي ينقل السحاب من مكان إلى مكان غير الله؟ يا رب قال الذين لا يؤمنون بالله: المطر له علة كذا وكذا، يخرصون ويكذبون، هذه ثلاث سنين ما ينزل المطر في المغرب، كذبهم الله تعالى وأنزل المطر، نقول في المطر: المطر هو تبخر المياه السطحية، وذلك البخار يصعد إلى السماء على شكل ضباب، ثم يبرد وينزل مطرا، الله تعالى كذبهم، لنا أربعة شهور ما جاءنا المطر فيها ونحن على البحر المحيط، فهل توقف التبخر؟ الشمس انطفت؟ الله تعالى كذبهم وبين لهم أن هذا التبخر إنما هو بيد الله تعالى، ليس بطبيعته، ليس بطبيعة البحر ولا الشمس، لا الشمس تعطينا مطرا، ولا البحر يعطينا مطرا، الله تعالى هو الذي يعطي المطر، في هذه السنة الله أرانا آية، وكذبهم سبحانه وتعالى، الآن البخار يحيط بنا من كل جانب، وبعد أربعة شهور يروح المطر المعتاد وما جاءت ولا قطرة، فالله تعالى يظهر لنا آياته،

وأنه هو الذي يعطي المطر، لا البحر ولا الشمس، والعرب من قديم الزمن كانت تقول: إن السحاب يمد خراطيمه إلى البحر ويشرب منها ثم بعد ذلك يمطر، هذا قول العرب من قبل في الجاهلية، هذا ما فيه جديد، ولكن المؤمن يؤمن أن الأمر كله بيد الله وبإذنه سبحانه وتعالى.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ الكفار الأشراف والأعيان - الأشراف معناها الرؤساء - الرؤساء والأعيان والكبراء قالوا لجماعة الجمهور ولعامتهم: لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذا لخاسرون ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ لما عصوا رسولهم جاءتهم الرجفة، هذه الرجفة الله تعالى أمَّن هذه الأمة منها، لكن عنده أنواع أخرى من العذاب يسلطها عليها، وفي الحديث الصحيح[1]: «لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، والذي في البخاري (٤٢٦٢): =

﴿ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾، قال النبي ﷺ: «**أعوذ بعزتك**» فقال: قد فعلت.

فأنتم تعلمون أن الله قادر على أن يسلط عليكم عذابًا من فوقكم، مثل ما سلط على قوم شعيب وغيرهم، قال النبي: يا رب أعوذ بعزتك لا تسلط العذاب على أمتي من فوق رءوسهم فيهلكهم، قال الله تعالى: فعلت قبلت، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، مثل الرجفة والزلزلة للأرض، فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بعزتك**»، قال: قد فعلت، ثم قال تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾، فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بعزتك**»، قال: سبق القدر يا محمد.

= عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿**قُلْ هُوَ** ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» قَالَ: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: «**أَعُوذُ بِوَجْهِكَ**» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «**هَذَا أَهْوَنُ**» أَوْ «**هَذَا أَيْسَرُ**».

أما التفرق فهم يتفرقون، ثم قال الله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، فقال نبي الله ﷺ: «**أعوذ بعزتك**»، قال: قد سبق القدر هذه، ما أعطيك إياها، فقال النبي ﷺ: «**سألت ربي أربعًا فأعطاني اثنتين ومنعني اثنتين، أعطاني ألا يهلك أمتي بالعذاب من فوق، ولا من تحت، لكن سألته ما تتفرق أمتي فرقًا، فقال: لا سبق القدر**»[1]، لا بد أن تتفرق، ثم يذيق بعضها بأس بعض، المسلمون مع بعضهم يتقاتلون، ويتعدى بعضهم على بعض، قال الله تعالى: سبق القدر، ثم قال الله تعالى: يا محمد إني أعطيتك لأمتك ألا أسلط عليهم عدوًا في أنفسهم، يقتل

---

(١) الذي في صحيح مسلم (١٥٤٥): أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ ﷺ: «**سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا**».

بعضهم بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا، أنا أعطيتك وعدًا لأمتك أنهم ما داموا مجتمعين على كلمة الله، وعلى ميثاق شريعة رسول الله، وعلى اتباع نبي الله، فإنه لو اجتمعت عليهم أقطار الدنيا كلها لا يغلبون أبدًا إلا إذا وقع التفرق بينهم وكان بأسهم بينهم، بعضهم يقتل بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا، ويعتدي بعضهم على بعض، فحينئذ يأتيهم عذاب الله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ جاثمين: ملقون على الأرض أمواتًا. الذين كذبوا شعيبًا أهلكهم الله تعالى كأنهم لم يحيوا، ولم يكونوا عامرين لهذه القرية، كأن لم يغنوا فيها، بعدما أهلكهم الله تعالى، الذين كذبوا شعيبًا كيف كان حالهم؟ كانوا هم الخاسرين، والمتبعون هم المفلحون، هم السعداء، هم الناجون.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أعرض شعيب عنهم ولم يبال بهلاكهم ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ

ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ أنا بلغتكم رسالة الله تعالى، وكذلك نبينا محمد ﷺ بلغنا البلاغ المبين، وكان حريصًا علينا، على خيرنا، وعلى سعادتنا بكل الحب إذا اتبعناه، وإذا مكرنا بديننا فحينئذ لا يأسف علينا أبدًا ﴿فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ﴾ كيف أحزن على قوم كفروا بي وأعرضوا عن الإيمان؟ أنا لا أحزن على القوم الكافرين.



معنى التوحيد

ما معنى توحيد الربوبية؟

هو أن تقول: الله هو الخالق وحده، لا يخلق غيره شيئًا أبدًا، ولا ذبابًا، ولا نملة، ولا ناموسة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣] فادعوا من شئتم من غير الله تعالى، الملائكة، والأنبياء، والصالحين، كلهم لا يقدرون أن يخلقوا ذبابة واحدة، ففي هذه لا يتصرف إلا الله تعالى.

يوجد في كتب الضلال من الفلاسفة والمتصوفة، القوم الذين يفترون علينا، ويكرهون قال الله وقال رسوله، ويريدون قال فلان، قال فلان المبتدع ؛ لأنهم أشربوا في قلوبهم البدعة كما أشرب اليهود حب العجل، هؤلاء يكرهون أن نقول: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء، اتبعوا الرسول، اتبعوا كتاب

الله تعالى، هؤلاء كرهوا هذا الشيء، يقولون: إن هنالك ديوانًا اسمه ديوان الأولياء، هذا الديوان يعقد اجتماعاته في كل صباح قبل الفجر في غار حراء، ومن يعقده؟ كل الأولياء الأحياء والأموات، وما شغل هذا الديوان؟ يقرر كل ما يصير في الأربع والعشرين ساعة، أين ينزل المطر؟ ينتصر الشعب الفلاني أو لا ينتصر، يعطى فلان كذا وكذا، نقول لفلان، نعزل فلان، نأمر فلان، يشبع فلان ... جميع التصرفات يقرره هذا الديوان المزعوم، ورئيسه القطب التيجاني، هذا القطب هو رئيس الجمهورية، وله مساعدون: سبعة أقطاب أربعة مالكية ؛ لأنه كان مغربيًا، وكان متأخرًا، وواحد شافعي، وواحد حنفي، وواحد حنبلي، هؤلاء يتصرفون في العالم، وهم خلفاء الله في أرضه، لا يقع فيه إلا بإذنهم.

وأنتم إذا قرأتم كتاب: «الهدي في الهدية للطائفة التيجانية»" اقرءوا فيه ما نسبه التيجانيون إلى شيخهم أنه قال في هذا الكتاب بزعمهم: القطب الأكبر هو الخليفة

عن الله تعالى في جميع مملكته، وهو المتصرف في جميع المملكة، وأنه لو غفل عن الكون طرفة عين لاندك العالم وما صار له أثر، هذا هو القطب الذي يفترون عليه، إلا أنه قال في الإفادة الأحمدية التي ألفها الشيخ الطيب السفياني قال أحد الناس للتيجاني: هل الناس يكذبون عليك؟ قال: نعم، قال وكيف نعرف أن الناس يكذبون عليك؟ قال: ما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله، فما وافق فهو عني، وما خالف فليس عني سواء قلته أو ما قلته، قالوا له يا شيخ: وهل يكذب عليك الناس أو ما أحد يكذب عليك؟ قال كيف لا يكذب علي الناس وقد كذبوا على النبي ﷺ !!! قالوا: وماذا يصنع الناس؟ أعط لهم النصيحة، قال: النصيحة ما يبقى بعدها عندكم إشكال أبدًا، لا أحد يأتيكم يقول لكم قال الشيخ التيجاني فأنتم علماؤكم تعرضونه على القرآن، وعلى سنة النبي ﷺ، فما وافق القرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام فأنا قلته واقبلوه، والذي يخالف كتاب الله تعالى وسنة نبيه فما قلته، هذا

الميزان الذي أعطاه الشيخ رحمة الله عليه.

نحن الآن كذلك لا نؤمن بهذا الكلام، وهو أن هناك قطبًا خليفة عن الله تعالى في جميع مملكته، لا يسكن، يتصرف في كل شيء في العالم، هذا كذب وشرك وافتراء على الله تعالى، كيف يكون ذلك والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] كيف يحتاج الله تعالى إلى من خلقه؟ إنما يحتاج الملك أو الراعي إذا غاب إلى خليفة، وهذا ملك الملوك لا يمرض، ولا يغيب، هو حاضر ناظر، هذا فعل قبيح فيه غلط كثير، هذا كفر وشرك، ونبرئ هذا الشيخ من هذه القولة الفظيعة .

توحيد الربوبية هو أن تعتقد أنه لا يتحرك شيء في العالم إلا بإذن الله وحده لا شريك له، هو المحرك، هو المسكن، هو المحيي، هو المميت، هو المعطي، هو المانع، لا يشاركه أحد في ربوبيته، ولكن هذا الاعتقاد بأن الله خالق كل شيء لا يكفي للنجاة من عذاب الله،

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت ٦١: ٦٣] الله تعالى يقول: لو سألتهم يا محمد من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر يقولون الله، لا الأصنام والملائكة، ولا واحد يقدر يخلق الشمس ولا القمر، ولا يقدر ينزل المطر، ولا يحيي غير الله تعالى، ومع ذلك هذا أبو جهل وأبو لهب وأمثالهم لا يعتبرون من الموحدين .





القسم الثاني
وهو توحيد الإلهية أو توحيد العبادة:

وهو أنه إذا علمنا أنه لا يعطي إلا الله، ولا يمنع إلا الله، ولا يخفض، ولا يرفع ولا يعطي الملك، ولا ينزع الملك، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء يعز من يشاء، ويذل من يشاء اتخذناه وحده إلهًا، سبحانه وتعالى .

قال محمد تقي الدين: من حقق توحيد الله تعالى بأن أفرده بالعبادة، ولم يدع مع الله أحدًا، وحقق اتباع رسوله ﷺ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] قول يا رب، إذا قلت يا رب فلان، المدد يا رسول الله ؟! هذا شرك ولا ما هو شرك ؟! واضح ولا فيه خفاء !! إذن لا يذبح إلا لله، ولا نعط إلا على الله تعالى، لا نعط على غيره أبدًا .

وقد نظمت بعض الأبيات بالفصيح:

لك الحمد يا محمود لك الحمد يا معبود ويا واهب

الوجود لجميع المخلوقين

قلت: المحمود في الحقيقة هو الله في توحيده، وفي الحقيقة كل عابد يعبد الله تعالى، حتى إن الكفار إذا كفروا فظلالهم خاضعة لله تعالى، توحد الله تعالى، هم يكفرون بقلوبهم لكن ظلالهم تسجد لله تعالى .

ويا واهب الوجود: من يعطي الوجود؟ الله تعالى، وجود البشر من لدن آدم، وجود الحيوانات، وجود البحار، وجود الجبال، وجود النبات، الذي أعطاهم الله، والذي يحاسبهم هو الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ واحد من المتصوفة يرد ويقول: هذا القطب لو غفل عن العالمين العالم يصير محض العدم !!! أستغفر الله العظيم هذا كفر بالله ؛ لأن الله يمسك وحده السماوات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا من يمسكهما إن لم يمسكهما، أي لا يمسكهما أحد من بعده أبدًا .

فيا واهب الوجود وحافظ الوجود عن أن يزول ما يعبد غيره من إله، ولا يرجى غيره من إله، لا نعبد إلا

ربنا الإله، هو يجلب لهم المنفعة، ويغيثهم في كل حين إذا استغاثوا، ما نعبد إلا الوهاب والذي يرزق بلا حساب، والذي يعبد غير الله تعالى ما له دنيا وما له دين، الذي يعبد غير الله تعالى الوهاب خاسر وخائن، لا ينفعه ما عبد لا في الدنيا ولا في الآخرة .

والصلاة والسلام على سيد الأنام الذي كشف الظلام عن جميع المؤمنين

لا ينكشف الظلام في زمان النبي ﷺ ولا بعد زمان النبي ﷺ إلا باتباع النبي ﷺ، النبي عليه الصلاة والسلام موجود، ما غاب عنا إلا جسده الشريف، وأما سنته عندنا نفس الذي كان يعلمه لأصحابه في كل زمن، فإذا نحن عملنا به فكأننا نرى النبي عليه الصلاة والسلام، ونصلي خلفه، ونجاهد معه، أما إذا ما عملنا حتى ولو كنا في زمنه فنحن مقصرون .

والصلاة والسلام على سيد الأنام الذي كشف الظلام عن جميع المؤمنين: كاشف الظلام عن المغاربة والمصريين والعراقيين وجميع الناس، الذين عرفوا

الإسلام هؤلاء انكشف عنهم الظلام إذا اتبعوا النبي عليه الصلاة والسلام، وإذا خالفوا بقوا في ظلام دامس أبدًا، وأنا من قبل خمسين سنة زرت مواقع كثيرة من الدنيا وقلت لهم: هؤلاء الذين سعد آباؤهم بالإسلام وشقوا هم بترك الإسلام ؛ لذلك تجدهم تبعوا الروس، تبعوا الصين، تبعوا الولايات المتحدة الأمريكية، تبعوا الذي تبعوه، قلت لهم: بدون الرجوع إلى القرآن وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام إذا كنتم تريدون تحاربون .

والصلاة والسلام على سيد الأنام الذي كشف الظلام عن جميع المؤمنين إذا كنت لا تخشى إلا من الله الذي خلقك من العدم وكثر عليك النعم كيف تعبد العاجزين الذين لا يملكون شيئًا من دون الله، فالله خلقهم أجمعين والرسول الذي لم يصل إلى قدره لا ملك ولا صالح ولا رسول ولا نبي هل تدري ماذا قال له الله؟ قال له : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] قال للنبي قل: يا

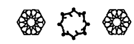
محمد وصرح لجميع الناس بأنك لا تملك لنفسك لا نفعًا ولا ضرًا فكيف تملك لغيرك، وأنك لا تعلم الغيب، ولو كنت تعلم الغيب ما أصابك ضر، والنبي أصابه الضر، كيف أصابه الضر؟ جاء جماعة من العرب المخادعين المجرمين للنبي عليه الصلاة والسلام وقالوا له: يا رسول الله إنا أسلمنا، ونحن عربان كثيرون، ولو جئناكم في المدينة كلنا سنضيق عليكم الماء والمعايش، وكل شيء، لذلك نريد ونحن كثير عددنا كل ما تقدر تبعث لنا من العلماء من أصحابك يعلموننا دين الله، والنبي لا يعلم الغيب، اختار من أصحابه سبعين واحدًا، كلهم يحفظون القرآن ومعناه، ويحفظون الحديث، وبعثهم لهم، ولما وصلوا إلى بلادهم قتلوهم كلهم وخلوا واحدًا، ولما جاء هذا الواحد وخبر النبي حزن حزنًا عظيمًا جدًا، ما حزن على ولده إبراهيم مثل ما حزن على هؤلاء القراء السبعين الذين قتلوا إلا واحدًا، والنبي صار يلعنهم في القنوت، يقنت عليهم في الصلوات الخمس الصبح والظهر والعصر والمغرب

والعشاء: اللهم العن بني ذكوان، وعصية عصت الله ورسوله، وهكذا في الصلوات الخمس حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الأمر ما هو بيدك، بيده سبحانه وتعالى، لا تدعو عليهم، أنا أتوب عليهم أو ما أتوب عليهم، وترك النبي القنوت، فلو كان النبي يعلم الغيب ما كان يبعث لهم السبعين يقتلونهم، هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨] من إنزال المطر، والغلبة ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ ما مسني ضرر فلا يعلم الغيب إلا الله.

فيا ابن آدم الله خلقك من عدم، وكثر عليك النعم كيف تطلب من العاجزين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، الله يخلق ويرزق، فكيف تتعلق بغير الله؟ هو الذي خلقك ورزقك، فكيف تتعلق بغيره سيدي فلان وهذه فلانة، خاف الله وحده يخاف منك الناس كلهم، من خاف الله خوف منه كل شيء، ومن خاف الناس

خوفه الله من كل شيء، ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة : ٤٤]، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

نسأل الله تعالى أن يشرح صدورنا لكتابه بقراءته وتجويده ومعرفة معناه والعمل به، ولسنة نبيه الكريم، ومحبته ومحبتها، والعمل بها حتى نلقى الله تعالى على ذلك والحمد لله رب العالمين.



الفهرس

